مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

العدد الرابع والعشرون

1375 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2007 مسيحي

تصدر عن
كلية الدعوة الإسلامية
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

مصادر التاريخ الثقافي الموريتاني
وقفة مع مؤسّسات الموضوع ومدوّنات المطبوع

د. محمّد بن أحمد المحجوب
المعهد العالي للدّراسات والبحوث الإسلامية
نواكشوط - موريتانيا

إنه من نافلة القول التذكير بأن هذا الموضوع متسع الأطراف ومتعدد الجوانب إذ يقترح الكشف عن المصادر التاريخية لإبداعات أمة بأكملها وهو أمر يستدعى كتباً ومؤلفات إلا أننا في هذا المقام سنقتصر على الوقوف مع أبرز الأسس والمنطلقات في هذا الحقل المعرفي منبهين إلى تنوع هذه المصادر وقلة المطبوع منها والحاجة الماسة إلى غربلتها وتمحيصها. حتى ينفض عنها الغبار نفضاً يعتمد الدراسة الوصفية والمقاربة التاريخية النقدية، فماذا عن هذه المصادر وأهميتها؟ ومتى بدأ تدوينها وكيف تعامل أصحابها مع الموروث الثقافي؟ وهل

(*) مشاركة في المهرجان الثاني لرابطة الأدباء والكتاب الموريتانيين في صيف 2006.

اعتنوا في لحظات التدوين بمنهج الدقة والتحري أم أنهم اكتفوا بالجمع والتأليف؟ وما علاقة هذه المصادر بالروافد المعرفية التي أطرت ثقافة القوم وأسستها؟

ذلك ما نروم الإجابة عنه عبر ثلاثة محاور أولها يعنى بالأسس والمنطلقات التي قامت عليها الثقافة الموريتانية، وثانيها يهتم باستعراض مصادر التاريخ الثقافي بأسلوب من التبويب والتصنيف، وثالثها يسعى إلى دراسة هذه المصادر ووضعها في الميزان فماذا عن هذه المحاور؟

أولاً ـ التاريخ الثقافي أسس ومنطلقات:

وضمن هذا المحور سنعرض لفظتين أولهما تسعى إلى الوقوف مع العنوان واستنطاق كلماته، أما ثانيتهما فإنها تحاول أن ترصد الروافد المعرفية التي غذت الثقافة الموريتانية عاملة على توسيعها، دون أن ننسى قيمة المقررات المحظرية في تكوين العقل الشنقيطي ذي البصمات الخاصة والسمات المميزة، فماذا عن هاتين النقطتين؟

أ ـ العنوان محاورة واستنطاق:

إن القارئ لهذا العنوان يدرك جلياً أنه يتألف من أربع كلمات مفاتح أولها «مصادر» وهي جمع مصدر مشتقة من صدر عن الأمر يصدر صدراً ومصدراً، وقد أصدر غيره وصدره والأولى أعلى وفي التنزيل ﴿حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾[1] والمصدر في الاصطلاح يطلق على الآثار المدونات التي تعد معتمداً وأساساً في حقل من الحقول المعرفية، أما كلمة «التاريخ» حقل من الحقول المعرفية، أما كلمة «التاريخ» فهي مصدر أرخ الكتاب بالتشديد تاريخاً وقته، يقال أرخت الكتب وورخته إذا بينت وقت كتابته وقد فرق الأصمعي بين اللغتين فقال: بنو

(1) سورة القصص، الآية: 23.

تميم يقولون أرخت الكتاب توريخاً، وقيس تقول أرخته تاريخاً[2] وفي المصباح أرخت الكتاب بالتثقيل في الأشهر، والتخفيف لغة إذا جعلت له تاريخاً وهو معرب وقيل عربي، وهو بيان انتهاء وقته، يقال ورخت على البدل والتوريخ قليل الاستعمال»[3] والتاريخ في الاصطلاح «التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد ووفاة وصحة ومعافاة ورحلة وحج وما أشبه ذلك مما مرجعه الفحص عن أحوال الأمم ومبتدأ أيامهم، ويلحق بذلك ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور ملمة أو حرب أو فتح بلد أو غير ذلك»[4].

فالتاريخ هو جملة الأحداث والواقعات التي تمر بالأفراد والجماعات ويصدق أيضاً على الظواهر الطبيعية وقد نوه به ابن خلدون في مقدمته مبيناً قيمته التوثيقية ومكانته المعرفية وأثره البالغ في إنارة العقل وتبصرة الأذهان واستخلاص العبر والدروس من الأيام وحادثات الليالي منتهياً إلى أنه : «جم الفوائد شريف الغاية إذ يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياساتهم حتى تتم فوائد الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين و الدنيا»[5].

وقد جاءت كلمة التاريخ في العنوان، موصوفة بـ«الثقافي» نسبة إلى الثقافة التي هي مصدر ثقف بالضم فلان ثقافة صار حاذقاً فطناً والثقافة تطلق على جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها وجاءت الصفة الثانية «الموريتاني» لتحدد المجال الجغرافي الذي يعنى البحث بدراسته ساعياً إلى أن يجوس خلال مصادر التاريخ الثقافي فيه.

---

(2) محمد بن عبد الرحمن السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، ص15.

(3) مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الرشاد الحديثة، د. ت مادة أرخ.

(4) الإعلان بالتوبيخ: م.س، ص17.

(5) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة في فضل علم التاريخ، دار الفكر، ط3، 1988 بيروت، ص13.

وبالجملة فإن العنوان يرمي إلى الكشف عن أمهات التاريخ الثقافي بالبلد داعياً إلى تناولها بالتعريف والتصنيف والتقويم مركزاً بشكل خاص على المطبوع منها.

ب ـ التاريخ الثقافي روافد ومقررات:

يحسن التنبه هنا إلى أن الثقافة الشنقيطية قد مرت بمرحلتين متمايزتين أولاهما تقوم الأخذ والتلقي وثانيتهما تعتمد التميز والاكتفاء فماذا عن هاتين المرحتلين؟ وهل كانت المدونات التي أنتجها القوم مجرد إعداد تكرار لما أبدعه سلفهم؟ أم كان لها نصيب من الجدة والطرافة بحكم إعادة الإنتاج. وقبل الإجابة عن هذا السؤال نود لو نشير إلى أن البلاد الشنقيطية قد عرفت ابتداء من القرن العاشر الهجري حركة ثقافية تذكر، تجلت ملامحها في انتشار محاظر العلم ووسائل التثقيف إذ تعددت الكتب المستوردة وبرزت المؤلفات المحلية متنوعة ما بين شروح لمؤلفات الأقدمين ومصنفات مستقلة عنها.

والمتتبع لأسانيد هذه الثقافة ومتون مقرراتها يدرك في غير عناء أنها كانت امتداداً للثقافة العربية الإسلامية كما كرستها السنة المغربية الأندلسية من أشعرية سنوسية في المعتقد ومالكية خليلية في الفقه، ونافعية ورشية في المقرأ، وصوفية جنيدية في السلوك، وسيبويهية بصرية في النحو، إلى غير ذلك. وبالجملة فقد كان لهذه الثقافة رافدان[6]:

1 ـ رافد سوداني مشرقي مصدره مدينة تيمبكتو التي كانت حاضرة العلم والقيم على الثقافة العربية الإسلامية خلال القرون (8، 9، 10هـ) وكانت على صلة وثيقة ومباشرة بالمراكز الثقافية وبالحواضر المعرفية في بلاد مصر والمغرب العربي، وبذلك مثلت قناة الربط والعبور يومئذ فتسللت

(6) أحمدو بن الحسن: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا ط1، 1995، ص77.

عبرها المؤلفات المصرية والمغربية، فقد كان الشناقطة يعولون في أحكامهم الفقهية على مختصر خليل بن إسحاق وشروحه وحواشيه إلى درجة أنهم كانوا يرددون كلمة شمس الدين اللقاني (ت. 935هـ) المشهورة «نحن قوم خليليون إن ضل ضللنا» وفي النحو اعتمدوا مؤلفات ابن هشام والأشموني والصبان وفي التصوف اعتمدوا الحكم العطائية وقصائد البوصيري وفي الأصول جمع الجوامع للسبكي والإتقان للسيوطي.

2 ـ رافد مغربي أندلسي منطلقه مدينة فاس التي ظلت تقاوم عوادي الزمان مشعة من نور جامعة القرويين على جاراتها. ولا ننسى في هذا السياق جهود عديد الزوايا المنتشرة في جنوب المغرب والتي كانت أقرب إلى بلاد شنقيط مكاناً وتكوين السكان[7] بل إن بعض المؤرخين يرجع النهضة الثقافية في بلاد شنقيط إلى جهود المسلمين النازحين من الأندلس بعد سقوط غرناطة في أيدي الاسبان، فلعل حضور مذهب مالك وسيطرته في الساحة الشنقيطية امتداد لانتشاره وتركزه بالغرب الإسلامي، إذ يذكر المقري أن أهل قرطبة أشد الناس محافظة على العمل بأصح الأقوال المالكية حتى إنهم كانوا لا يولون حاكماً إلا بشرط أن لا يعدل في الحكم عن مذهب ابن القاسم[8].

وقد يكون ذلك رداً منهم للجميل، فقد نوه مالك بسيرة عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس متمنياً أن يكون بالحرم المدني مثله، إذ قال: «ليت الله زين حرمنا بمثله» وتنوقلت هذه الكلمة الطيبة وبلغت إلى صقر قريش في مقر دولته وكان لها كبير الأثر في قبول مذهب مالك والإقبال عليه[9]،

(7) المرجع السابق، ص78.

(8) المقري: نفح الطيب 3/ 216.

(9) الخليل النحوي: المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987، ص186.

ويبدو أن الحضور المغربي الأندلسي بالمقررات الشنقيطية كان كبيراً، ففي الفقه عولوا على رسالة القيرواني وشروحها ونظم ابن عاشر كما اعتمدوا شرح الخطاب ومعيار الونشريسي وغيرها. وفي علوم القرآن رجعوا إلى كتب الشاطبي والداني وتفسير القرطبي وابن العربي وابن عطية وغيرها وفي النحو اعتمدوا مؤلفات ابن مالك وأبي حيان وفي اللغة تدارسوا اختيارات الأعلم الشنتمري المعروفة في الأدب الجاهلي وربما يكون ديوان غيلان وصلهم عبر هذا الرافد وفي السيرة اعتمدوا الشفاء للقاضي عياض وقرة الأبصار لعبد العزيز اللمطي وفي التصوف دلائل الخيرات للجزولي وكتب سيد أحمد زروق، وبذلك ترسخت بعض التقاليد الثقافية في الساحة الشنقيطية فكان الإقبال شديداً على المدائح النبوية حيث كان في المساجد مداحون مشهورون مكرمون وكان مجلس المديح ينعقد كل جمعة بعد قراءة الحزب وللحديث مجلس يسرد فيه صحيح البخاري وآخر للذكر تقرأ فيه مقاطع من دلائل الخيرات وكان إلى جانب تلك المتون التي تقرأ للتعليم في المسجد متون تسرد للتبرك في أوقات محددة وأهم مناسبات ذلك المولد النبوي[10] ولا يفوتنا أن نسجل هنا تلك النقلة النوعية التي عرفتها الثقافة الشنقيطية، إذ انتقلت من الاقتباس إلى التميز والاكتفاء مؤسسة لنفسها مقررات خاصة هيأت حملتها لإسعاف نظرائهم بالمشرق والمغرب.

ثانياً ـ التاريخ الثقافي عرض وتصنيف:

وخلال هذا المحور سنقوم بتقديم موجز لبعض الكتب والدراسات التي تناولت هذا الموضوع بتقسيمها إلى ثلاثة مستويات نعرض لها تباعاً فيما يلي:

أ ـ مصادر التراجم والتعريف:

وسنوزع هذه المصادر إلى نقطتين أولاهما تعنى بالحوليات التاريخية

(10) ددود: الحركة الفكرية، ص80 ـ 81.

ومنظومات الحوادث والسنين، وثانيتهما تركز على كتب التراجم والمناقب فماذا عنهما؟

1 ـ حوليات المدن والأنظام:

تطلق الحوليات اليوم في حقل الدراسات التاريخية على تلك التآليف التاريخية التي تعتمد تسجيل الوقائع والأحداث مرتبة ترتيباً زمنياً دقيقاً حسب السنوات دون التقيد في أغلب الأحيان بالتفاصيل الجزئية لكل حدث أو واقعة وتكاد الحوليات التاريخية تكون نمطاً متميزاً من مصادر التاريخ الثقافي فهي تختلف عن مصادر التاريخ العام وكتب التراجم والرجال ومؤلفات الأنساب ولا يجد الباحث بداً من الرجوع إليها إذ تأخذ مكانة خاصة بين هذه المصادر نظراً لصرامتها المنهجية وترتيبها الزمني الدقيق إذ تعتمد التقاط الأحداث المختلفة من ميلاد ووفاة ونعمة وجفاف وسلم وسجال وغير ذلك.

ويمكن الحديث عن ضربين من هذه الحوليات حوليات منظومات وأخر غير منظومات وهي جميعاً تعتمد التاريخ للوفيات وحوادث السنين وتشتهر بنسبتها إما للمدن التي احتضنت أحداثها وإما للأعلام الذين دونوها، أما الحوليات المنظومة فنعرض لها تباعاً في ما يلي:

1 ـ نظم وفيات الأمراء والأعيان لمحمد والد ابن خالنا ت. 1212هـ وقد غطى الفترة الممتدة ما بين 1055 ـ 1170.

2 ـ نظم بابكر بن حجاب الديماني ت. 1322هـ فقد غطى الفترة الممتدة ما بين 1185هـ ـ 1314هـ.

3 ـ نظم محمدو بن البراء الديماني ت. 1363هـ وقد غطى الفترة ما بين 1314 ـ 1340هـ.

4 ـ نظم محمدن بن محمد فال الديماني ت. 13386هـ وقد غطى حوادث الفترة ما بين 1321هـ 1330هـ.

5 ـ نظم المختار بن المحبوب اليدالي ت. 1391هـ وقد غطى حوادث الفترة الممتدة من 1315هـ ـ 1371هـ.

6 ـ نظم عبد الحي بن التاب الانتابي ت. 1981م وقد غطى الفترة من 1375هـ/ 1401هـ.

7 ـ نظم نافع بن حبيب التندغي المتوفى 1416هـ وقد غطى الفترة من 1401هـ/ 1414هـ.

8 ـ الشيخ محمد عبد الرحمن بن الشيخ محمد وهو معاصر يساير أحداث الفترة المعاصرة.

وأما الحوليات النثرية فمن أبزرها:

1 ـ تاريخ الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي ت. 1219 وقد سجل أحداث الفترة ما بين 740هـ ـ 1169هـ وهو مخطوط يقع في نحو 20 صفحة من الحجم الوسط.

2 ـ تاريخ جدو بن الطالب الصغير البرتلي وقد غطى أحداث الفترة ما بين 1001 هـ ـ 1236هـ.

3 ـ النبذة في تاريخ الزمان لصالح بن عبد الوهاب الناصري ت1271هـ وقد غطت أحداث الفترة الممتدة من 1097هـ ـ 1237هـ.

4 ـ تاريخ ابن اطوير الجنة الواداني ت. 1265هـ وقد غطى أحداث الفترة الممتدة ما بين 1070 ـ 1258هـ.

5 ـ حوليات تجككجة من تدوين أئمة الجامع بها وقد سجلت أحداث الفترة ما بين 1070هـ ـ 1317هـ.

6 ـ تاريخ أحمد بن كداه الكمليلي (ت1337هـ) ويغطى أحداث الفترة ما بين 1263هـ ـ 1317هـ.

7 ـ حوليات تيشيت لمحمد بن محمد بن عشاي والشريف بو عسرية التيشيتيين فقد سجلت أحداث الفترة الممتدة 1036هـ ـ 1326هـ.

8 ـ حوليات النعمة لمحمد مصطفى بن الشيخ أعمر الايدلبي وتغطى الفترة الممتدة ما بين 958هـ ـ 1328هـ.

9 ـ حوليات محمد يحيى الولاتي ت.1330هـ وتغطي أحداث الفترة ما بين 958هـ ـ 1329هـ.

10 ـ حوليات ولاته للطالب أبي بكر بن أحمد المصطفي المحجوبي ت.1336هـ وتغطي الفترة الممتدة ما بين 1038هـ ـ 1330هـ.

11 ـ تاريخ أهل الشيخ ماء العينين المؤلف مجهول ويغطي أحداث الفترة ما بين 1265هـ ـ 1392هـ.

12 ـ تاريخ عبد الوهاب بن حماه اليعقوبي وقد غطى أحداث الفترة ما بين 1055هـ ـ 1385هـ.

13 ـ تاريخ أحمد سالم بن باكاه ت.1401هـ وهو تكملة لنظم ابن البراء المتقدم ويبدأ سنة 1341هـ وينتهي 1385هـ.

14 ـ تاريخ محمد محمود الحسني ويغطي أحداث الفترة ما بين 1095هـ ـ 1396هـ.

وتمتاز هذه النصوص بكونها تسجيلاً دقيقاً لحوادث التاريخ الموريتاني، هذا مع تركيز كل نص في الغالب على حوادث المنطقة التي نشأ فيها المؤلف، كما أن النص لا يخلو من تأثير العمق الثقافي والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه المؤلف.

فقيمة هذه الحوليات الثقافية تنحصر في ضبط وفيات بعض الأعيان وذكر جملة من الحوادث البارزة التي لها أثر كبير في مجريات التاريخ.

2 ـ مصنفات التراجم والأعلام:

ويحسن التنبيه هنا إلى أن مصنفات التراجم والأعلام بهذه الربوع الموريتانية يمكن تقسيمها إلى قسمين: قسم خاص يعنى بترجمة مفرد علم كما هو الشأن بالنسبة لكتب المناقب والكرامات التي كثيراً ما يقتصر المؤلف في حقلها على مترجم واحد معدداً مآثره وكراماته وغالباً ما يكون شديد الصلة به، فأكثر الذين كتبوا في هذا الحقل اكتفوا بالترجمة للوالدين والأقربين وأشياخهم في الطرق الصوفية. وليس هذا القسم من مجال اهتمام هذا البحث المقتضب[11].

أما القسم الثاني وهو مجال اهتمامنا فيعنى بتلك المؤلفات الجامعة التي تنحو منحى شمولياً يزاوج بين المعطى الثقافي والبعد التاريخي، منتهجة نهج المؤلفين في «أعلام النبلاء» أو «معاجم الأدباء» راصدة الإشعاع الثقافي لجيل بأكمله أو لأبناء حقل ثقافي كالتاريخ لطبقات الأولياء أو الشعراء، ونقتصر في هذا المقام على خمسة كتب تعد من أهم مصادر التاريخ الثقافي للبلد وسنرتبها تباعاً في ما يلي:

1 ـ فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور[12]:

ويقع في (219 صفحة) أخذت المقدمة منها 26 وغطت الفهارس 78 صفحة وهو كتاب متوسط الحجم موضوعه الأساس التعريف بالعلماء. وله أهمية بالغة في التاريخ الثقافي في البلاد الموريتانية، إذ يضم 200 ترجمة لأئمة غطوا بجهودهم العلمية سنوات القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر

(11) للتوسع في هذا الموضوع: انظر عملنا أدب المناقب والكرامات في بلاد شنقيط، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة وهران الجزائر 2004، وقد تناولنا ضمنه عشرين مدونة منقبية تعد أهم مصادر التاريخ الثقافي في البلاد الموريتانية.

(12) البرتلي: فتح الشكور، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص7.

هجرياً، وتتضمن مادة هذا الكتاب المعلومات الأساسية عن المترجم لهم وخاصة ما يتعلق بالمولد والنشأة وظروف الدراسة وأشياخ العلم ورحلات الحج وتاريخ الوفاة وذكر للمؤلفات والإشارة إلى الوظائف المعرفية كالإمامة والإفتاء والقضاء دون إهمال للصفات السلوكية كالزهد والورع والتقوى والاعتناء بالعلم والإقبال على اقتناء الكتاب فهذا المؤلف يقدم للباحث معلومات قيمة عن مراكز الثقافة يومئذ وحواضر العلم ومقررات الدرس وأساليب التعلم والتلقي منبهاً إلى الصلات الثقافية بين بلاد شنقيط وحواضر العلم بالمغرب الأقصى مشيراً إلى أن هذه الحواضر «قامت بدور فعال في نشر الثقافة الإسلامية العربية في الصحراء وجنوبها وطبعت ثقافتها بالطابع المغربي الصميم»[13].

2 ـ فتح الرب الغفور في ذكر تاريخ الدهور:

لسيدي عبد الله بن سيد محمد بن محمد الصغير بن امبوجه العلوي ت. 1300هـ ويعد مصدراً مهماً في التاريخ الثقافي الموريتاني خلال القرن الثالث عشر وقد سجل صاحبه جملة من الأحداث التاريخية المهمة مغطياً الحقبة الممتدة من 1001هـ ـ 1266هـ وكانت أول حادثة سجلها هي ظهور شرب التبغ وذهاب أحمد باب من تمبكتو، وآخر حادثة سجلها هي مقتل بكار بن أبي الشهاب وقد تضمن هذا المؤلف إشارات مقتضبة إلى مؤلفه إذ حدد تاريخ مولده بسنة 1247هـ إذ قال في أحداث هذا العام «وفيه ولدت كما أخبرتني الوالدة»[14].

3 ـ فتح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور:

وهو كما يدل عليه عنوانه إكمال لعمل البرتلي المتقدم وذيل له وقد جمع فيه صاحبه مادة عزيزة موزعة بين عدة أجناس ثقافية تاريخية تشمل التراجم

(13) مقدمة المرجع السابق، ص7.

(14) سيد عبد الله ولد امبوجة: ضالة الأديب، تحقيق ودراسة بقلم د. أحمد ولد الحسن، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، 1996، ص55.

والحوليات والسيرة الذاتية وقد أوضح المؤلف دوافع التأليف في مقدمة كتابه قائلاً: «هذا وإني لما وقفت على تأليف الطالب أبي بكر الصديق البرتلي أردت أن أجمع مجموعاً يحاكيه ويسير سيره ويماشيه أذكر فيه علماء زماننا وفضلاءه ووقائعه وأيامه ورؤساءه وجعلته كالتذييل للتأليف الجليل وزدت فيه أشياء أهملها في تأليفه ولم يذكرها في تعريفه كالوقائع الشهيرة والعلامات الكثيرة بوبته تبويباً يكون له تهذيباً وافتتحته برأس القرن الثالث عشر سنة إحدى ومائتين وألف وسميته «فتح الرب الغفور»[15] وهو في نسخته المحققة يقع في 294 صفحة ويقدم الكتاب معلومات هامة عن منطقة السودان الغربي، منبهاً إلى تزايد المد الإسلامي يومئذ بفعل الحركة التي قادها الحاج عمر تال الفوتي وابنه من بعده وهي الحركة التي أعطاها المؤلف أهمية كبرى حيث تتبع أحداثها بدقة والكتاب على الجملة مليء بالمعطيات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية التي تمكن من وضع تصور واضح عن مختلف مظاهر الحياة خلال تلك الفترة، فالنص يقدم معلومات بشأن سني الجفاف والقحط والمجاعة والأوبئة ومعلومات عن أسعار مواد التبادل التجاري وقيمها في أوقات الشدة والرخاء، وزيادة على ذلك يحمل الكتاب بعداً ثقافياً يتجلى في حجم المؤلفات التي ورد ذكرها في معرض تراجم العلماء إذ تمس مختلف جوانب المعرفة وتعطي فكرة واضحة عن مستوى الازدهار الثقافي وعن طبيعة التوجهات العلمية السائدة يومئذ[16] وعلى العموم فإن الكتاب يضم 184 ترجمة لعلماء البلاد من بينهم 45 من الأولياء وقد استدرك الرجل 16 ترجمة على صاحب فتح الشكور كما أورد 15 حالة من الأمراض والأوبئة المتفشية يومئذ كما عدد 30 حالة من الحالات الجوية كتساقط النجوم وظهور المذنبات والكسوفات، وأشار أيضاً إلى 12 حالة من الكوارث الطبيعية كفترات القحط والجفاف وفساد المزارع والزلازل كما

---

(15) الطالب أبي بكر بن أحمد المصطفي المحجوبي: الولاتي فتح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور، تحقيق الطالب محمد الأمين.

(16) المرجع السابق، ص3.

تناول حوادث متفرقة كبناء المدن وحفر الآبار واتفاقيات الصلح بين القبائل وغيرها دون أن ينسى عادة أهل ولاته في الصلاة في المسجد وما يصحبها من تقاليد مدح الرسول ﷺ[17].

4 ـ نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار:

وربما ورد عنوانه باسم نيل الأوطار بخبر شماسدة أطار وهو لعبد الودود ابن أحمد ملود بن انتاه الشمسدي الاطاري 1267هـ ـ 1372هـ وهو كتاب عمل فيه صاحبه على التأريخ لجانب من الحركة الثقافية في منطقة آدرار متتبعاً تاريخ الشماسيد وأنسابهم وجهودهم الثقافية مؤرخاً لأبرز الأحداث التي وقعت في منطقته ويغطي الفترى الممتدة من 1289هـ ـ 1352هـ وأول حادثة سجلها هي عيون البقر بين أحمد بن محمدو ومعارضيه وآخر حادثة سجلها هي بناء لدار عند اكليب الكديه المسمى افديرك، وهذا الكتاب ترجمه نوريس ضمن مجموعة نصوص التاريخ الموريتاني وعنونه بـ: «تاريخ آدرار وبني شمس الدين»[18].

5 ـ الوسيط في تراجم أدباء شنقيط:

لمؤلفه أحمد بن الأمين الشنقيطي ت.1331هـ وهذا الكتاب يعد باكورة المطبوعات المعتنية بالأدب العربي في بلاد شنقيط وقد نوه فؤاد سيد في تقديمه لهذا الكتاب بقيمته الأدبية إذ دون الآداب الشنقيطية وملأ فراغاً في المكتبة العربية كبيراً فهو «من خير ما ألف من الكتب التي وصفت تاريخ الآداب العربية في بلاد المغرب بل هو على الحقيقة الكتاب الأوحد لتاريخ الأدب العربي في بلاد شنقيط ودراسة أحوالها الأدبية والاجتماعية ووصف عاداتها وتقاليدها وطرق التربية والتعليم فيها وذكر الحوادث والحروب التي جرت بين قبائلها وما أبدعته قرائح شعرائهم من أشعار تتصل بجميع فنون القول من مديح وغزل وغير ذلك

(17) المرجع السابق، 4 ـ 9.

(18) ددود ولد عبد الله: الحركة الفكرية، ص5.

من الشعر الرصين الذي يعيد لنا صورة من أيام العرب ووقائعها المشهورة[19].
وقد جاء تأليف الوسيط استجابة لطلب من صديق المؤلف أحمد أمين الخانجي واستمالة لأفئدة المشارقة نحو أدب الشناقطة وتعريفاً بمنتوج هذا الثغر القصي من البلاد العربية، وغيرة على ما أصاب أدبهم من الغبن والإهمال وكذلك رداً على أولئك الذين يقصرون الإبداع الأدبي على أهل المشرق وهم عن أدب الشناقطة معرضون يقول: «وبعد فلما كان تدوين الآثار يفيد اعتبار أول الأبصار ندبني من لا تسع مخالفته ولا يحسن إلا ملاطفته أن أجمع ما تسنى لي من شعر أهل بلدي مما استقر في خلدي لاستحسانه ما سمع مني معزواً إليهم فأجبته وإلى ذلك الطلب راجياً من الله حسن المنقلب وأخبرت بذلك بعض نبهاء المصريين فاستغرب ذلك ظناً منه أن الآداب العربية لا يتصف بها غير الأقطار الشرقية ولم يقل ذلك عن سوء نية ولا عن خبث في الطوية فحدتني الحمية العصبية إلى نثر هذا الدر الدفين لينشر في المغربين والمشرقين»[20].

ب ـ مصادر التوسع والتثقيف:

ونقصد تلك الكتب التي لا يقتصر اهتمامها على مجرد التراجم والتعريف بالأعلام وإنما تتجاوز ذلك إلى توسيع المعارف مقدمة رؤية شمولية عن الثقافة الموريتانية وأسسها وتقاليدها وخصوصياتها، وسنكتفي في هذا المقام بالوقوف مع كتابين هما: الحياة الثقافية للمختار بن حامد، وبلاد شنقيط المنارة والرباط للخليل النحوي.

1 ـ الحياة الثقافية:

وهو الجزء الثقافي من موسوعة حياة موريتانيا[21] وفيه أورد المؤلف

(19) أحمد بن الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مطبعة الخانجي، ط4، 1989، ص11.
(20) المرجع السابق، ص11.
(21) المختار بن حامد: حياة موريتانيا، الجزء الثقافي، الدار العربية للكتاب، تونس 1990.

مقدمة تاريخية هامة تعرض للحياة الثقافية بكل أبعادها إذ تتناول المقررات المدرسية وآثار العلماء ومؤلفاتهم، ومناهج الدراسة وطرق التدريس والاتجاهات الصوفية، وجهود القوم في الطب ذاكرة أنواع الأدوية التقليدية، وجملة من التراث الشعبي كعلم الخط في الرمل (لكزانه) وأنواع الألحان الموسيقية وآلات الطرب وأدب الإنشاء، وعلوم الشعر، وأساليب الدعابة والظرافة ونماذج التربية الدينية والخلقية والاعتبار بالحوادث التاريخية ومختلف اللهجات المحلية دون أن تنسى خصائص الأدب الشعبي وتقاليد الناس في المعاش والمنبهات كالاتاي والدخان، وعاداتهم في الملبس والزواج وتوفير الشعر وحلقه، والتأنق في الحلية والزينة[22]. ليستعرض المؤلف بعد ذلك عناوين أشهر المؤلفات في أغلب الفنون معدداً المحاظر القديمة في أسلوب يرتبها حسب المدن والقرى والقبائل. ويحسن التنبيه هنا إلى أن هذا الكتاب لم يطبع إلا بعد تأليفه بعقود مما جعل أغلب معلوماته قد تسربت وانتشرت في الأوساط العلمية، وقد أحسن مؤلفه التعبير عن ذلك في أسلوب حساني يشير إلى أن مضامينه استهلكت وتدوولت بشكل كبير في وقت مبكر إذ امتدت إلي أيدي البحثة والدارسين من قبل أن تكتمل وتزهر في ورق مطبوع، فكان رحمه الله يقول إن كتابه «أكل على نار هادئة»، وعلى الرغم من ذلك كله تبقى لهذا الكتاب أهمية ثقافية وتاريخية كبرى إذ يعد من أهم المصادر التي جمعت معارف القوم ودونتها بأسلوب متمكن ورفيع ونهج شامل ودقيق.

2 ـ بلاد شنقيط المنارة والرباط:

وقد لخص صاحبه[23] أهم المضامين الواردة فيه عبر عنوانه الفرعي «عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي» والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاظر) وهو كتاب ضخم يقع في 641 صفحة من الحجم

(22) المرجع السابق، ص77 ـ 190.

(23) الخليل النحوي: بلاد شنقيط، المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.

المتوسط موزعة ما بين مدخل وستة أبواب بالإضافة إلى ملاحق تتضمن تراجم لجملة من الأعلام الذين ورد ذكرهم في غضون الكتاب وفهرساً للمؤلفين الشناقطة، وقوائم بأسماء بعض شيوخ المحاظر وخريجيها. وقد جاء المدخل ليعرض الإطار التاريخي والجغرافي والبشري الذي قامت فيه المحظرة وتبلورت الدلالة الثقافية لكلمة شنقيط. وتناول الباب الأول نشأة المحاظر وعوامل انتشارها متتبعاً مراحلها بدقة رابطاً نشأتها بأصول التعليم العربي الإسلامي. أما الباب الثاني فقد سعى إلى تغطية خصائص هذه المؤسسة الثقافية متناولاً طبيعة الحياة فيها ومواردها المالية وآداب الدراسة فيها وتقاليدها التربوية ومناهج الدرس وغير ذلك. ويأتي الباب الثالث استعراضاً للحصاد العلمي في جانب التأليف والشعر دون أن ينسى التأثير الشنقيطي بالربوع الأفريقية والبلاد العربية والإسلامية. وينصب الباب الرابع على إبراز جهاد الشناقطة وجهودهم في نشر الإسلام وإقامة دولة راشدة تسعى إلى مواجهة الغزو الاستعماري وقد عززت هذه المواضيع بنماذج من أدبهم المجاهد غطت الباب الخامس بأكمله وهو ما أطلق عليه المؤلف «موثبات» في الأدب الشنقيطي. هذا في حين تم التركيز في الباب السادس على واقع المحظرة أيام تأليف الكتاب عبر أسلوب يكشف مزاياها ويقارنها بالنظام التربوي المعاصر مع التنبيه إلى آفاق مستقبلها.

وقد ضم ملحق تراجم الإعلام قريباً من 200 ترجمة وقيمة هذه التراجم تكمن في أنها تعرف القارئ ببعض العلماء الشناقطة الذين لم تمتد إليهم عناية الحركة العلمية ومدونات المؤلفين في البلاد العربية رغم ما لهم من إبداع وعطاء ثقافي وجهد علمي مشكور. أما فهرس المؤلفين الشناقطة فقد ذكر المؤلف أنه مجرد نشر لما جمعه المؤرخ والشاعر المختار بن حامد بالتعاون مع الخبير هيموفيسكي سنة 1965 وقد انتهى بهما الجهد إلى فهرسة أكثر من ألفي مصنف. (2054 مصنفاً) لنحو أربعمائة مؤلف شنقيطي (394 مؤلفاً بصيغة اسم الفاعل) وهذه المؤلفات المذكورة خاصة بالمخطوطات يومئذ فلا ذكر ضمنها للمطبوعات. وبالجملة فإن المنارة والرباط قد جاءت كما أرادها صاحبها «كتاباً

يعرض بشيء من التبسيط للحياة العلمية والثقافية والجهاد الديني في بلاد شنقيط ويعني عناية خاصة بالمحظرة تلك المؤسسة الفريدة التي قامت في البادية فكانت، بها مدرسة علم ورباط جهاد ومنارة إشعاع»[24] فهذا كتاب عظيم النفع والفائدة سطر بلغة أدبية رشيقة انتصر فيها المؤلف لبني أرضه في نهج منصف يزكي أعمالهم «ليعطيهم أحياناً أكثر من ما لهم»[25].

ج ـ مصادر الدراسة والتنظير:

ونقصد بها تلك الدراسات المعاصرة التي تناولت الثقافة الشنقيطية بشيء من المناقشة والتحليل عاملة على الوقوف مع المدونات المعرفية وقفة تأمل تبرز الأساليب والأفكار وتعمل على التصنيف والتنظير وسنقتصر في هذا المقام على ثلاثة مصادر نعرض لها تباعاً في ما يأتي:

1 ـ الشعر والشعراء في موريتانيا:

وهو كتاب أدبي يجمع الشعر إلى النقد[26] إذ يضم مقدمة هامة بالإضافة إلى مدونة تجمع ستة آلاف بيت لأربعة وتسعين شاعراً شنقيطياً من مختلف الأجيال وردت مرتبة حسب الأغراض الشعرية. وقد سعت المقدمة إلى تغطية جانب من التاريخ الثقافي للبلد مركزة على تاريخ دخول الإسلام إلى المنطقة وبعض مظاهر الثقافة الشعبية، والثقافة الرسمية دون أن تنسى التعريج على نشأة المدن القديمة والمحاظر الشنقيطية متحدثة عن الأصول الكبرى لثقافة القوم ومقرراتهم المدرسية وأنشطتهم التأليفية متوجة ذلك كله برؤية نقدية تعرض لنشأة الشعر الشنقيطي وبوادره وسبل تدوينه وأغراضه المختلفة، ومناهج الدارسين في تقويم نصوصه وانتقادها مستعرضة الاتجاهات الشعرية ومبينة منزلة القريض وقيمته الفنية في معارف القوم. وقد تتبع الرجل مسيرة الأدب العربي

(24) المرجع السابق، ص12.

(25) ددود ولد عبد الله: الحركة الفكرية، مرجع سابق، ص5.

(26) محمد المختار ولد أباه، الشعر والشعراء، الدار التونسية للنشر والطباعة والتوزيع 1987.

تتبعاً دقيقاً يكشف مختلف مراحلها منتهياً إلى أن بلاد شنقيط تمثل محطة من أبرز محطاتها إذ احتفظت بهذا الأدب بنضارته في ساعات الفتور ولحظات الضعف، ذلك أن روائع الأدب العربي «نشأت في قلب الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام وبعده، وتفتحت أزهارها في العراق والشام في القرن الرابع والخامس، وازدهرت في السابع والثامن في مصر وإفريقية والأندلس واحتضنها المغرب الأقصى في القرنين التاسع والعاشر وقبل أن تعود إلى المشرق من جديد فإن صحراء شنقيط من منحنى النيجر إلى ضفاف الأندلس قد حملت لواءها وأعادت لها نضرة الشعر الجاهلي ومتانة أسلوبه وزخرفته بالآداب العباسية فانصهرت عناصرها في أدب متكامل وغني يظلمه أبناؤه من موريتانيا إذا لم يجتهدوا في التعريف به، ويظلمه العرب إن هم أعرضوا عن التعرف عليه»[27]. وبالجملة فإن الكتاب مختارات من الشعر الشنقيطي تشمل أغراض الغزل والمديح والمدح والفخر والمساجلات بالإضافة إلى بعض الملاحظات النقدية ذات الصلة بالموضوع وهو يعد تكملة لكتاب الوسيط توخى مؤلفه منه «أن يعطي للمهتمين بالأدب العربي عامة والأدب الموريتاني خاصة إطاراً شاملاً للدراسة والبحث»[28].

2 ـ الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري: مساهمة في وصف الأساليب[29]

وهو كتاب متوسط الحجم يقع في 478 صفحة موزعة على مدخل وثلاثة أبواب متوجة بخاتمة وملحقاً لبعض القصائد فالمدخل جاء تأطيراً يبرز ملامح السياق التاريخي الذي احتضن شعراء المدونة نظرياً وقد ضمنه الباحث أهم المعلومات التي يراها مفيدة لموضوعه والتي سمح بها منهجه مقدماً صورة

(27) المرجع السابق، ص72.

(28) المرجع السابق، ص5.

(29) أحمد ولد الحسن: الشعر الشنقيطي في القرن 13، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا 1995.

واقعية عن المجتمع والسلطة، أما الأبواب الثلاثة فقد سعت إلى دراسة الشعر الشنقيطي دراسة أسلوبية وذلك ما أوضحه المؤلف قائلاً: «وعملنا يتركز على الخطاب الشعري في خصائصه الأسلوبية وهياكله الفنية الدالة، متبعاً بذلك منهجاً شكلانياً محضاً»[30]، وقد وقف الباحث من المناهج النقدية موقفاً واعياً إذ صرح أن علاقته بها هي «علاقة المنتفع الناقد والمستفيد المتبصر لا التلميذ الأبله أو المريد المتحزب»[31]، وذلك ما دعاه إلى أن يستأنس بها في حكمة مرونة مكتفياً باستغلال كفاءاتها الفعلية في تعميق المعرفة بالمدونة وهذا الكتاب مقاربة أسلوبية لبعض نصوص الشعر الشنقيطي وقد انطلق من مدونة محددة تضم 13 شاعراً غير أن الأهم في هذا الكتاب بالنسبة إلينا في هذا المقام هو جانبه التاريخي فقد تتبع الباحث جوانب مهمة من التاريخ الثقافي الموريتاني متوقفاً عند أبرز محطاته إذ نبه إلى المسار الإسلامي المتدرج البطيء وساق رأياً متماسكاً يرجع تعرب سكان المنطقة إلى الزحف الحساني دون أن ينسى الإشارة إلى ما أعقب ذلك من تبلور لخصائص المجتمع السياسية والثقافية، وما نشأ عن التعرب من انتشار الثقافة العربية الإسلامية موضحاً كيف تولدت الحركة الشعرية من رحم الثقافة الفقهية[32]، وبعد هذا المدخل التاريخي من أوليات التاريخ الثقافي المدون باللغة العربية فهو يسد فراغاً كبيراً في المكتبة الشنقيطية بل والعربية الإسلامية عموماً.

3 ـ الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط[33]:

وهو كتاب يقع في 285 صفحة من الحجم الصغير موزعة على مقدمة وخمسة فصول فجاءت المقدمة تحديداً للموضوع وتنبيهاً إلى أن «الأدب مرتبط في نشأته وتطور مضامينه وطرائق تعبيره بظروف تاريخية واجتماعية واقتصادية

(30) المرجع السابق، ص422.
(31) المرجع السابق، ص31.
(32) أحمد ولد الحسن: الشعر الشنقيطي في القرن 13هـ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، 1995، ص422.
(33) تأليف عبد الله بن أحميده، مطبعة النصر، انواكشوط، 2001، ط1.

محددة»[34]، وعملت فصول الكتاب على تأصيل التاريخ الثقافي في مناقشة لحظات دخول الإسلام إلى المنطقة وقضايا التعرف والتعريب واقفة مع مصادر الشعر الشنقيطي ومبينة قيمتها التاريخية معرجة على نشأة الشعر بهذه الربوع ملتمسة له أوليات وافدة ترجع بوادره إلى القرن الخامس لتعدد بعد ذلك أغراض الشعر ومعانيه متوجة ذلك كله بالإشارة إلى خصائصه الفنية والأسلوبية.

ثالثاً ـ مصادر التاريخ الثقافي دراسة وتقويم:

تجدر الإشارة هنا إلى أن المؤلفين اختلفوا في طبيعة التناول وأسلوب المادة العلمية في التاريخ الثقافي فمنهم من مال إلى الجمع والتأليف ومنهم من ركن إلى الدرس والتحليل فماذا عن هذين التوجهين؟.

1 ـ طرائق الجمع والتأليف:

ويقصد بها تلك المؤلفات التي اعتمدت روح التاريخ، مكتفية باستعراض بعض المعلومات دون مناقشتها فقدمتها كمسلمات وتدخل في هذا التوجه مصنفات التراجم والأعلام وحوليات المدن والأنظام، فهذه المؤلفات لها منهاج خاص يقوم على السرد والمباشرة والتقرير بعيداً عن كل مقاربة أو تحليل، فغرضها الاساس جمع المتفرق وانتشال المهدد وتوثيق المروي، فالقارئ لهذه الكتب يجد نفسه أمام مصنفات تاريخية غايتها أن تضم بعض المعلومات إلى بعض وأن تعرف القارئ بتراث أمته عبر أسلوب يركن إلى الربط والتنسيق أكثر من الإثارة والتحليل فكان لها بذلك «حظ كبير من الأصالة رغم ما قد يبدو بادئ الرأي من أن مؤلفيها إنما كانوا مرددين لما قاله من قبلهم فانحصرت معلوماتهم في المتون والشروح والحواشي والتعليق وكذلك كان إنتاجهم، غير أن هذا الطرح لا يصمد كثيراً أمام النظر فالمتحري للمدونات الشنقيطية بعيون فاحصة

(34) المرجع السابق، ص 17.

يدرك أن تحت رماد الحروف المنطمسة جذوة من حرارة وصبابة من حياة وستتراءى له معالم شخصية الكاتب وروح العصر وعبقرية المكان بين سطور النقول المحكمة العزو إلى المصادر المتداولة في الحواضر المغربية الأندلسية أو المصرية أو غيرها من روافد الثقافة الشنقيطية[35].

2 ـ مناهج الدرس والتحليل:

نعني بها تلك الدراسات المعاصرة التي حاولت أن تقف مع نصوص الثقافة وقفة المتأمل الفاحص قارئة الأبعاد ومستكنهة الأعماق غائصة خلال الملفوظ والملحوظ ومن أبرز الأمثلة على هذا التوجه كتابان هما: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، وأطروحة «الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرن الحادي والثاني عشر الهجريين» التي تقدمت الإحالة عليها.

فالأول حاول صاحبه أن يستنطق النصوص المؤرخة للثقافة استنطاقاً جديداً يفك معظم أزرارها عسى أن تبوح للقارئ ببعض أسرارها فغاية المؤلف هي محاورة النص ومحاولة استخراج دلالاته المختلفة ومعانيه الحافة فقد صرح أنه يهدف من وراء هذا الكتاب «إلى رسم إطار تاريخي عام يبين أهم المراحل التي مر بها المجال الشنقيطي مركزاً بالخصوص على الفترات التاريخية التي لها أوثق الصلات بالقرن الذي يدرس شعر أهله متدرجاً إلى التاريخ الثقافي فالمستوى الأدبي»[36]، والأهم من ذلك سعى المؤلف إلى أن يرسخ في الحقل الثقافي ضروباً من التقاليد الجادة في قراءة الشعر وإبراز مضامينه بنفض الغبار عن دلالاته ومراميه في نهج يصف الأساليب ويقارن بين النماذج ويحلل الملفوظ اللساني، ويغوص إلى أعماق الضمير الإنساني.

أما الكتاب الثاني فيعد دراسة رائدة في حقل التاريخ الثقافي للبلد فقد انطلقت من إبراز الأطر العامة للثقافة الموريتانية محاولة تقديم رؤية جديدة

(35) ددود بن عبد الله: الحركة الفكرية ص1 ـ 2.

(36) الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، ص35.

تتجاوز الملفوظ إلى الملحوظ وتقرأ ما بين السطور لتنتهي إلى رأي معتبر يحدد المكونات الثقافية لأبناء المنطقة إذ هم ثمرة طبيعية لتلاقح عدة عناصر بشرية أقامت بهذه الربوع الصحراوية التي كانت منتهى قصد العديد من الهجرات الجماعية ومحط أنظار التجار والرحالة ورجال الدين والفكر مما جعل منها ملتقى لتسويق البضائع والمنتجات، ومجالاً لتبادل التجارب والمعلومات، فشكل امتزاج هؤلاء الهاجرين بالجالية الصنهاجية جيلاً هجيناً أطلق عليه اسم «البيضان» في وقت مبكر «أصبحت له ميزات خاصة على المستوى الثقافي (التحدث بالعامية العربية: «الحسانية») وفي الأزياء (التزام النساء تغطية الرأس وتخلي الرجال عن واجب التلثم)»[37].

والأهم من ذلك في نظرنا أن هذا الباحث استطاع أن يسطر برؤية ثاقبة مسار الحركة الفكرية والثقافية في البلد عبر أسلوب محكم البناء متناسق الوحدات يقد الألفاظ على المعاني في عبارات غير مستكرهة ولا مملولة تلوذ بالمقاربة والتأويل ولا تهمل التعريق بمصادر الثقافة مبرزة قيمتها التاريخية ومستواها الأسلوبي.

خاتمــة:

صفوة القول: إن مصادر التاريخ الثقافي في موريتانيا موضوع ذو أهمية مزدوجة، إذ يعرف بمدونات القوم ومقرراتها المدرسية، دون أن ينسى التنبيه إلى خصوصيتهم الحضارية، إذ انتبذوا من العالم العربي والإسلامي مكاناً قصياً هيأ لهم نوعاً من التميز السكاني والصفاء اللغوي. وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المصادر محتاجة إلى مزيد النظر والتحقيق ليتمكن البحثة والدارسون عبرها من وضع الإصبع على مرجعية مؤسسة تؤصل ثقافتهم وتنظر لها في أسلوب يتسم بالثبات والتنوع، ويضمن لها السيرورة والذيوع. وتجدر الإشارة هنا إلى أن

(37) ددود بن عبد الله: الحركة الفكرية، ص203.

مصادر التاريخ الثقافي تتفاوت وجاهة وتأثيراً فيقدم في جنبها المفهوم على المنطوق، والمتروك على المطروق، ذلك أن خبراء الحقل الثقافي والقيمين عليه اليوم أصبحوا يعنون بالحفر أكثر في مدونات نوازل الفقه وإشكالات المجتمع بوصفها مصادر غير مباشرة، لا تخلو من أمانة، إذ تنبو عن الذاتية والتأثير ملتمسة الموضوعية والحياد، ونكبة صراط العاطفة والانحياز.